

ويبدأ هذا السياق من قوله تعالى بعد آية البر: " يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى إلى قبل آخر السورة، وكان يتخلل كل ذلك على طريقة القرآن ما يدعو المؤمنين إلى التزام هذه الأحكام وعدم الاعتداء فيها، من قصص ووعد ووعد، وإرشاد إلى سنن في الكون والجماعات، ثم تختتم ببيان عقيدة المؤمنين على نحو ما بدأت في بيان أوصاف المتقين " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون " .

وبذلك يؤكد آخرها أولها، ويؤسس أولها لآخرها وتصير السورة كتلة واحدة، ينتفع المسلمون الذين يهتدون بالكتاب بأحد غرضيها في معاملة من يخالطون من أهل الملل الأخرى، وينتفعون بالغرض الآخر في تنظيم أحوالهم من عبادة ومعاملة.

ويأتي الغرضان في آية البر مجملين بين " ليس " و " لكن " فتتفني " ليس " أن يكون البر شيئاً مما درج عليه هؤلاء الحرفيون أصحاب المظاهر الجوفاء، الذين يتمسكون بمثل تولية الوجوه قِبَلَ المشرق أو المغرب، وتثبت " لكن " أصول الإيمان الحق والعمل الصالح على أنها هي البر الصحيح، والواقع العملي للفقوى والمتقين " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون " .

ثم يكون الختام الأخير تعليم المؤمنين دعاءً من شأنه أن يغرس في نفوسهم سنة في التشريع لهم وبناء أحكامه وتكاليفه على اليسر والوسع ودفع الحرج، ومن شأنه متى أخلصوا فيه أن يأخذ بأيديهم إلى حياة سعيدة سهلة ميسرة، ويسر لهم وسائل المغفرة والنصرة " ربِّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربِّنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربِّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين " .